دراسة في موارد أبي عبيد البكري
عن تاريخ إفريقية والمغرب

بقلم د. عبد الواحد ذنون طه
كلّية التّربية / قسم التاريخ / جامعة الموصل

تمهيـد :

أبو عبيد عبد ٱلله بن عبد العزيز بن محمد البكري، من علماء الأندلس الكبار الذين نبغوا في القرن الخامس الهجري / الحادى عشر الميلادي ، وهو موسوعي الاتجاه ، اهتم بموضوعات متعددة ، أهمّها الجغرافية ، والتّاريخ ، وعلوم اللّغة ، والنبات، والشعر . لكن اهتمامه بالجغرافية غلب على بقية العلوم الأخرى ، فكان بحق أعظم جغرافي أنجبته الأندلس قاطبة . ولقد دُرِسَ البكرى الجغرافي دراسة مستفيضة ، وأُعدت عنه بحوث قيمة ودراسات جليلة الشأن . ونشير في هذا المجال إلى ما كتبه المستشرق الروسي كراتشكوفسكي (1884–1951)[1] ، وإلى الدراسة القيمة التي ضمنها عنه الأستاذ الدكتور حسين مؤنس في موسوعته الجغرافية الفريدة عن الأندلس ، [2] وكذلك دراسة الدكتور عبد اللّه يوسف الغنيم ، ٱلتّي تناولت مصادر البكري ، ومنهجه الجغرافي بالتفصيل[3] .

---

(1) اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي ، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي** ، نقله عن الروسية : صلاح الدين عثمان هاشم ، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1987 ، ص 296–302 . سيشار لهذا المرجع عند وروده فيما بعد هكذا : كراتشكوفسكي .

(2) حسين مؤنس ، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس** ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، 1967، ص 108–148 سيشار لهذا المرجع عند وروده فيما بعد هكذا : مؤنس ، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين** .

(3) عبد اللّه يوسف الغنيم ، **مصادر البكري ومنهجه الجغرافي** ، ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع ، مطبعة المدني ، القاهرة، 1974 .

وعلى الرغم من أهمية البكري في حقل الدراسات التاريخية ، وعنايته الكبرى بالتّاريخ ، لم تخصص حسب علمي ، دراسة مستقلة عنه في هذا المجال الرحب ، الذي أبدع فيه أيما إبداع ، حيث قدم في ثنايا كتابه القيم **«المسالك والممالك»** معلومات تاريخية على درجة كبيرة من الأهمية للمناطق التي تحدث عن جغرافيتها . وقد جاءت إشارات الباحثين إلى هذه الناحية المهمة بشكل مقتضب ، نظرا إلى تركيزهم على الملكة الجغرافية عند البكري .

إن الحديث عن البكري المؤرخ يتطلب الإحاطة التامة بكل ما كتبه في مؤلفاته ، لا سيما **«المسالك والمالك»** ، الذي تناول فيه جغرافية العالم المعروفة على عهده ، حيث وقف عند كل موضع وقعت فيه حادثة تاريخية وتحدث عنها بالتفصيل . ونظرا إلى ضخامة الكتاب ، وفقدان بعض أجزائه ، وتوزع مادته على شكل قطع منشورة أو في صورة مخطوطات عديدة في مكتبات شتى في العالم(4) ، فقد اقتصرت هذه الدراسة على القطعة الخاصة بشمال إفريقيا ، التي نشرها المستشرق الفرنسي دي سلان De Slane في الجزائر سنة 1857 بعنوان **«المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب »** ، وأعيد طبعها مرة أخرى في باريس سنة 1911 .

ولغرض التوصل إلى فهم دقيق لجهود البكري التاريخية ، تمّ التركيز في هذا البحث على موارده التي استقى منها معلوماته عن تاريخ إفريقية والمغرب ، لأن دراسة هذه الموارد ، والإحاطة بها يساعد كثيرا على معرفة المنهج التاريخي الذي سار عليه البكري ، ويبين بوضوح الأصول التي اعتمدها لدعم رواياته التاريخية ، وقصد منها استكمال صورة الوصف الشامل للمناطق والبلدان التي تحدث عنها . وقد تبين من خلال هذا البحث أن موارده كانت متنوعة ، فهو قد اعتمد الروايات الشفوية ، إلى جانب الكتب والوثائق المدونة ، والبيانات الرسمية . ولم يقتصر على موارد محددة ، بل تنوعت لديه الأصول بين مشرقية ومغربية ، حيث تشير ملاحظاته إلى اطلاعه الواسع على معظم الروايات والكتب التي كانت متوفرة في عصره .

عاش البكري في عصر الطوائف في الأندلس ، وقضى معظم حياته متنقلا من مكان إلى آخر في ذلك العصر الحافل بالمآسي والقلق وعدم الاستقرار السياسي . وهو

---

(4) للاطلاع على المزيد من المعلومات بشأن مخطوطات الكتاب وأماكن تواجدها انظر : مؤنس ، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين** ، ص 132–137، الغنيم ، **مصادر البكري ومنهجه الجغرافي** ، ص 58–66 .

ينتمي إلى بيت شرف وإمارة ، فكان آباؤه أصحاب ولبة Huelva وشلطيش Saltes على ساحل المحيط الأطلسي إلى الغرب من إشبيلية Seville ، اللتين استولوا عليهما بعد انهيار الخلافة الأموية في قرطبة Cordoba ، وظلوا فيهما حتى تغلب عليهم المعتمد بن عباد (ت 488 هـ/1095 م) ، فلجأ والد البكرى إلى قرطبة وأقام فيها ومعه إبنه أبو عبيد . وهناك أتم البكري دراسته والتقى بابن حيان المؤرخ القرطبي المعروف (ت 469 هـ/1079 م).وانتقل أبو عبيد بعد ذلك إلى مدينة المرية Almeria وعرف حاكمها المعتصم محمد بن صمادح (ت 484 هـ/1091 م) ، الذي أرسله في مهمة دبلوماسية إلى بلاط المعتمد بن عباد بإشبيلية . وقد استقر البكري لفترة من الزمن في إشبيلية ، لكنه غادرها إلى قرطبة بعد استيلاء المرابطين عليها ، وظل في قرطبة حتى وفاته عام 487 هـ/1094 م[5] .

ألف البكري كتابه «**المسالك والممالك**» في منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، وفرغ من كتابته في حدود عام 460 هـ/1068 م . وكان وثيق الصلة بمعاصريه من المؤرخين والمحدثين والأدباء ، من أمثال ابن حيان ، وأحمد بن عمر العذري (ت 478 هـ/1085 م) ، وأبي عمر بن عبد البر (ت 463 هـ/1070 م) وغيرهم . ولم يكتب البكري كتابه هذا وصفا لرحلة قام بها ، أو مشاهدات اطلع عليها ، فهو لم يزر المغرب أبدًا ، بل اعتمد غالبا على المعلومات التي وقعت تحت تصرفه ، والبيانات التي عثر عليها في الأندلس . لهذا فقد جاء وصفه للمغرب وصفا دقيقا عظيم الفائدة[6]. وقد حاول من خلال مزج التاريخ بالجغرافية أن

---

(5) للمزيد من المعلومات عن حياة أبي عبيد البكري وأسرته انظر : **أبو القاسم خلف بن بشكوال** (ت 578 هـ/1183 م) ، **كتاب الصلة** ، 2 م ، الدار المصريّة للتأليف والترجمة ، **القاهرة** ، 1966 : 1/287–288 ؛ محمد بن عبد الله بن بكر القضاعي المعروف **بابن الأبار** (ت 658 هـ/1260 م) ، **الحلة السيراء** 2 م ، تحقيق : حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1963:2/181–184 ، 186؛ انخل جنثاليث بالنثيا ، **تاريخ الفكر الأندلسي** ، ترجمة : حسين مؤنس مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1955 ، ص 309–310 ؛ كراتشكوفسكي ، ص 297 ؛
Pons Boigues, **Los Historiadores Y Geografos Arabigo-Espanoles**, Amesterdam, 1972, reprint of Madrid edition, 1898, pp. 160-162; **Encyclopaedia of Islam**, second edition, artical «ABÙ ‘UBAYD AL-BAKRI».

(6) أنظر : حسين مؤنس ، **فتح العرب للمغرب** ، مكتبة الجماميز ، القاهرة ، 1947 ، ص 305 ؛ محمد الطالبي ، **الدولة الأغلبية** ، تعريب : المنجي الصيادي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1985، ص 15 .

يقدم صورة واضحة لهذه البلاد مبينا تاريخها منذ أقدم العصور ، مستعينا بما توفر لديه من موارد عربيّة أو أجنبية. ويتمثل اعتماده على المصادر الأخيرة في الحديث عن أوّليّة المدن المغربية ، وأصولها الرومانية والبيزنطية ، مثال ذلك وصفه لمدينة بونة ، عنابة الحالية ، بأنها : « أولية وهي مدينة إقشتين العالم بدين النصرانية »[7] وهو يعني به القديس اغسطين (St. Augustine) ، أشهر رجال الكنيسة الكاثوليكية في شمال إفريقيا ، المتوفى سنة 430 م[8] .

ويحرص البكري في وصفه لمناطق المغرب على تقديم أحدث المعلومات التاريخية عنها إلى العصر الذي عاش فيه ، فيشير إلى الأحداث ، ويقرنها بالسنوات المعاصرة . فعندما يتحدث عن الحموديين مثلا ، يوصل تاريخهم إلى آخر سنة 460 هـ/1068 م ، وهي السنة التي أنجز فيها تأليف كتابه[9] . ومن مزاياه الأخرى أنه لا يكتفي بالحديث عن تاريخ البلد وجغرافيته ، بل يشير إلى أوضاعه العامة وتجارته أيضا ، فيقدم بذلك وصفا دقيقا وشاملا للمنطقة التي يتحدث عنها ، فيقول عن قلعة أبي طويل على سبيل المثال إنها : «قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة وتمصرت عند خراب القيروان ... وهي اليوم مقصد التجار وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب ، وهي اليوم مستقر مملكة صنهاجة وبهذه القلعة احتصن أبو يزيد مخلد بن كيداد من إسماعيل ...[10] ».

وعلى الرغم من هذه المزايا لا يخلو الكتاب من بعض المبالغات ، مثل إشارته إلى قتل أبي عبد الله الشيعي (ت 299 هـ/911 م) لثلاثين ألف رجل في مسجد مدينة الأربس سنة 296 هـ/908 م ، ومن الواضح أن البكري انساق إلى هذه المبالغة لإضفاء صفة القسوة والوحشية على هذا الداعية الفاطمي[11] . كما تضمن الكتاب أيضا بعض

(7) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري ، (ت 487 هـ/1094 م) ، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** ، نشر : دي سلان ، الجزائر ، 1857 ، ص 54 . سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا : البكري ، **المغرب** .

(8) أنظر : شارل أندري جوليان ، **تاريخ إفريقيا الشمالية** ، جزءان ، تعريب : محمد مزالي والبشير ابن سلامة ، ط 5 ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1985، : 304/1 ، 305، 326 ، سعد زغلول عبد الحميد ، **تاريخ المغرب العربي** ، جزءان ، منشأة المعارف ، الإسكندرية، 1979 : 119/1-120 .

(9) البكري ، **المغرب** ، ص 134 ، وانظر أيضا ص 55، 87 .

(10) المصدر نفسه ، ص 49 .

(11) المصدر نفسه ، ص 46 .

الأساطير آلتّي ربما اعتمد البكري في إيرادها على بعض الكتب القديمة آلتّي يسميها بـ «كتب الحدثان»[12] . وعلى أي حال فإنّ موارد البكري الرئسية آلتّي اعتمدها في ثنايا مؤلفه تشمل أصولا عديدة أخرى تتصف بالأصالة والوثوق ، ويمكن تصنيفها على الشكل آلآتي :

أولا : الروايات الشفوية..

ثانيا : الوثائق والكتب المدونة ، وهي إما :

أ ــ مشرقيـة : وتشمل :

1 ــ **كتاب فتوح مصر وأخبارها ، أو فتوح مصر والمغرب والأندلس** لابن عبد الحكم ، والأصول الأولى التي اطلع عليها هذا المؤرخ .

2 ــ **كتاب الأخبار** للنوفلي .

ب ــ مغربية : وتشمل :

1 ــ **مؤلفات** محمد بن يوسف الوراق .
2 ــ كتاب **مغازي إفريقية** لأبي جعفر أحمد المعروف بآبن الجزار
3 ــ كتاب **تاريخ إفريقية** لعبد آلله بن أبي حسان اليحصبي .
4 ــ كتاب **فتوح إفريقية** لعيسى بن محمد بن سليمان بن أبي المهاجر .

أولا : الروايات الشفوية :

هناك الكثير من الروايات الشفوية التي أوردها البكري معتمدا على سماعه من أشخاص أو جماعات ، لكنه نادرا ما يشير إلى اسم الراوى المباشر الذي نقل إليه الخبر . ويكتفي أحيانا بكلمة «قالوا»[13] ، ثم يورد الخبر ، أو يقول : «وروى الثقات عن»[14] ، ثم يسمي الشخص المنقول عنه الخبر، وغالبا ما يكون هذا الشخص قد

---

(12) المصدر نفسه ، ص 31، وآنظر أيضا ص 38 ؛ وقارن : أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني (ت 717 هـ/1317 م) ، **رحلة التجاني** ، تقديم حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ــ تونس ، 1981 ، ص 8 .

(13) البكري ، **المغرب** ، ص 112 .

(14) المصدر نفسه ، ص45 .

عاش في زمن بعيد عن البكري ، لهذا لا نستطيع أن نتتبع سلسلة الرواة الذين نقلوا الخبر . ومن هؤلاء الذين نقل عنهم بهذه الطريقة عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، قاضي إفريقية المتوفي سنة 161 هـ/777 م، وإسحاق بن عبد الملك الملشوني ، الذي كان معاصرا للأمير محمد بن الأغلب (227–242 هـ/841–856 م). واتبع البكري نفس الطريقة في ذكر بعض الأحاديث النبوية الشريفة عن فضل إفريقية ، حيث يستعمل عبارة : «روى جماعة» أو عن فلان ، ثم يورد سلسلة الإسناد التي تنتهي بمن سمع رسول الله صلّى آللّه عليه وسلم[15] .

ويذكر البكري روايات عن شهود عيان حدثوه ببعض المظاهر الاجتماعية في مناطق مختلفة من بلاد المغرب ، لكنه لا يذكر اسم هؤلاء الرواة ، بل يكتفي بالإشارة إليهم بعبارات يفهم منها أنه رآهم وحدثهم كأن يقول : «وأخبرني غير واحد أنه رأى ...»[16] ، أو «وأخبرني من ضاف منهم رجلا...»[17] . ويشير البكري في ذكره لمثل هذه الروايات الشفوية أحيانا إلى اسم شاهد العيان الذي يروي عنه الخبر ، ويحاول التعريف به تعريفا مقتضبا ، لا يساعد في الغالب على تكوين فكرة متكاملة عنه . مثال ذلك قوله : «... وأخبر أبو الفضل جعفر بن يوسف الكلبي ، وكان كاتبا لمؤنس صاحب إفريقية ...»[18] . كذلك قوله : «وذكر محمد بن سعيد الأزدى رجل من أبناء صفاقس أنه دخلها ...»[19] .

ولا توجد في الكتب المعروفة لدينا تراجم لمعظم الرواة الذين يشير إليهم البكري ، وربما كان بعضهم من العلماء المهتمين بأخبار المغرب ، أو من التّجار ، أو الرحالة ، الذين التقى بهم ، مثل مؤمن بن يومر الهواري ، الذي يدل اسمه على أنه من قبيلة هوارة البربرية ، وقد أخذ عنه البكري مشافهة نصوصا عديدة لا سيما نصه الخاص ببناء مدينة وجدة في المغرب بعد سنة 440 هـ/1048 م[20] . كذلك الفقيه أبو محمد عبد الملك بن نخاس الغرفة ، الذي حدثه بأخبار غانة وسير أهلها .[21] كما استفاد البكري أيضا من رجل آخر يدعى أبو العباس فضل بن مفضل

(15) المصدر نفسه ، ص 21 .
(16) المصدر نفسه ، ص 102 .
(17) المصدر نفسه ، ص 49 .
(18) المصدر نفسه ، ص 18–19 .
(19) المصدر نفسه ، ص 14–15 .
(20) المصدر نفسه ، ص 86، 87–88 .
(21) المصدر نفسه ، ص 180 .

ابن عمرو المذحجي في رواية أخبار قبيلة برغواطة، وظهورها على مسرح الأحداث في المغرب العربي[22] . وأشار أيضا إلى أسماء رواة آخرين اعتمد عليهم في حديثه عن الأدارسة في المغرب الأقصى ، ومن هؤلاء أحمد بن الحارث بن أبي عبيدة اليماني ، ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن القاسم[23] والقاضي محمد بن عمر الصدفي[24] .

ثانيا : الوثائق والكتب المدونة :

أ ـ المشرقية :

1 ـ كتاب **فتوح مصر وأخبارها ، أو فتوح مصر والمغرب والأندلس** لابن عبد الحكم ، والأصول التي اطلع عليها هذا المؤرخ .

اعتمد البكري في بعض الرّوايات التّاريخية التي أوردها عن فتح شمال إفريقيا على عبد الرّحمان بن عبد الله بن عبد الحكم ، الذي يعد من المؤرخين المسلمين الأوائل الذين دونوا أحداث الفتح العربي الإسلامي لشمال إفريقيا[25] . ومن المعتقد أنه اطلّع على كتاب هذا المؤرخ الخاص بفتوح مصر والمغرب والأندلس ، لأنّه يشير إليه مباشرة في بعض النصوص التي ينقلها عنه بعبارة : «قال ابن عبد الحكم...»[26] ويلاحظ بأن البكري لا يدخل في تفاصيل الروايات المتعددة التي يذكرها ابن عبد الحكم ، ولا يتبع تسلسله في ذكر الأحداث ، بل يكتفي بما يتلاءم مع منهجه في مزج المعلومات الجغرافية بتاريخ المناطق التي يتحدث عنها[27] .

---

(22) المصدر نفسه ، ص 137–138 .

(23) المصدر نفسه ، ص 121 .

(24) المصدر نفسه ، ص 126 .

(25) عبد الرّحمان بن عبد اللهبن عبد الحكم (ت 257 هـ/871 م)، **فتوح مصر وأخبارها** ، نشر : شارلس توري ، نيوهيفن ، 1921 ، انظر مقدمة توري (بالإنقليزيّة)، ص 1. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا : ابن عبد الحكم ، **فتوح** ؛ وآنظر : كارل بروكلمان ، **تاريخ الأدب العربي** نقله إلى العربيّة : عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، القاهرة ، 1969 : 75/3 ؛

Pons Boigues, Op. Cit., pp. 411-412; **Encyclopaedia of Islam,** First edition, artical : «IBN ‘ABD AL-ḪAKAM».

(26) البكري ، **المغرب** ، ص 12 .

(27) قارن : المصدر نفسه ، ص 12–14؛ ابن عبد الحكم ، **فتوح** ، ص 194–196 .

ولا يشير البكري في ذكره لبعض الأخبار الأخرى إلى ابن عبد الحكم ، ولكنّه يسند هذه الأخبار مباشرة إلى المحدثين المصريين الذين اعتمدهم ابن عبد الحكم في سلسلة إسناده ، لا سيما الليث بن سعد (ت 175 هـ/791 م). وهذه الأخبار التاريخية الخاصة بالفتح تكاد تتفق حرفيا مع ما رواه ابن عبد الحكم مسندا إلى هذا المحدث[28]. ومن جهة ثانية يورد البكري روايات تاريخيّة أخرى دون إسناد ، وبالمقارنة مع ابن عبد الحكم يتبين أنّها مأخوذة عنه ، حيث نجدها لدى الأخير بتفصيل أكبر ، ومسندة إلى سلسلة رواته المعروفين[29] .

وعلى الرغم من استخدام البكري لكتاب ابن عبد الحكم ، وأخذه عنه ، لكنه اطلع أيضا على الأصول الأولى التي كانت في متناول هذا المؤرخ المصري ، ويدل على ذلك وجود روايات أخرى لدى البكري لا نعثر عليها عند ابن عبد الحكم ، منها مثلا الرواية التي يسندها إلى حنش بن عبد آللّه الصنعاني (ت 100 هـ/718 م) ، الخاصة بفتح جزيرة جربة[30].وحنش هذا هو أحد شهود العيان الذين شاركوا في فتح المغرب العربي ، ويروي عنه بعض المحدثين الذين يعتمدهم آبن عبد الحكم في سلسلة إسناده[31] . كذلك يشير البكري ، دون إسناد ، بصورة مفصلة إلى رواية فتح مدينة سوسة على يد عبد آلله بن الزبير (ت 73 هـ/692 م) ، في حملة معاوية بن حديج السكوني[32].وهذه الرواية غير موجودة عند آبن عبد الحكم ، وهي مذكورة في **البيان المغرب** ، حيث ينسبها ابن عذاري[33] ، إلى الطبري ، ولكن لا يرد في المطبوع من كتاب **تاريخ الرسل والملوك** للطبري أيّ ذكر لهذه الرواية[34] ، وهي على الأغلب

(28) آنظر : البكري **المغرب** ، ص 5 ، 8-9 ؛ وقارن : ابن عبد الحكم **فتوح** ، ص 170-171 .

(29) البكري ، **المغرب** ، ص 210 ؛ وقارن : ابن عبد الحكم ، **فتوح** ، ص 171 .

(30) البكري ، **المغرب** ، ص 19 .

(31) آنظر : ابن عبد الحكم ، **فتوح** ، ص 7 ، 277، 278 .

(32) البكري **المغرب** ، ص 34-35 .

(33) أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري (كان حيا سنة 712 هـ/1312 م) ، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، 2 م ، نشر : ج . س . كولان ، وليفي بروفنسال ، ليدن ، 1948 : 16/1 . سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا : ابن عذاري ، **البيان** .

(34) **آنظر : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ/922 م) ، تاريخ الرسل والملوك** 15 م ، نشر : دي غوية ، ليدن ، 1879-1901 : 84/2 . سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا : الطبري ، **تاريخ** ؛ عبد الواحد ذنون طه ، «موارد ابن عذاري المراكشي عن شمال إفريقيا من الفتح إلى بداية عهد المرابطين» **مجلة المجمع العلمي العراقي** ، م 36 ، ج 4 (1975) ، ص 258 .

من الأصول المشرقية التي وقعت بيد البكري ، الأمر الذي يؤيد اعتماده على هـذه الأصول الأولى بالإضافة إلى كتاب ابن عبد الحكم نفسه .

2 ـ **كتاب الأخبار** لعلي بن محمد بن سليمان النوفلي :

لا نعلم شيئا عن حياة هذا المؤرخ ، الذي روى عن أبيه وعمه ، وعن أبي محنف (ت 157 هـ/774 م)، وغيرهـم .[35] وقـد أشار إليـه المسعـودي ، ونقـل عـن **كتابـه الأخبار** بعض الروايات التي تتعلق بالعصر الأموي[36] . كما كان أيضا من مصادر أبي الفرج الأصفهاني (ت 356 هـ/966 م) ، ونصر بن مزاحم (ت 212هـ/872 م) ، والطبري . وقد اعتمد عليه الأخير في رواية بعض الأخبار عن الخلفاء العباسيين ، لا سيما أبي جعفر المنصور (136-158 هـ/754-775 م) ، والمهدى (158-169 هـ/775-785م) ، والهادى (169-170 هـ/785-786 م) ، والرشيد (170-193 هـ/786-809 م)[37] كما روى عنه البلاذرى أيضا بقوله «حدثني» الأمر الذي يشير إلى أنه كان من شيوخه[38] . ولكن اهتمام النوفلي بأخبار المغرب إضافة إلى المشرق حمل بعض الباحثين على التساؤل والشك فيما إذا كان هو نفس المؤرخ الذي يعد حجة في تاريخ المغرب[39] .

---

(35) آنظر : فؤاد سزكين ، **تاريخ التراث العربي** (التدوين التاريخي) ، نقله إلى العربية : **محمود فهمي** حجازي ، نشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، 1403 هـ/1983 م : م1 ، ج 2 ص 136 .

(36) علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت 346 هـ/957 م) ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ، 4 م ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط 4 ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1964 : 13/1 ، 24/3 ، 86، 88، 89، 91، 242 .

(37) الطبري ، **تاريخ** : 328/3-329، 346، 390، 414، 418، 422-423، 450-455، 506؛ 509، 515، 516، 533-534، 536، 541، 543، 548، 550، 563، 590، 596، 608 .

(38) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت 279 هـ/892 م) ، **أنساب الأشراف** ، تحقيق : الشيخ محمد باقر المحمودي ، بيروت ، 1974 : 196/2-197؛ وآنظر أيضا : محمد جاسم حمادى ، **موارد تاريخ البلاذري** 2م ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، 1407 هـ1986 م : 670/2 .

(39) فرانتز روزنثال ، **علم التاريخ عند المسلمين** ، ترجمة : صالح أحمد العلي ، مكتبة المثنى ، بغداد ، 1963 ، ص 692 .

اعتمد البكري على هذا المؤرخ ، لا سيما في ذكر قيام دولة الأدارسة ، والأحداث التي مرت بها منذ إنشائها في عهد إدريس الأول (ت 175هـ/793 م) ، الذي فر من معركة فخ بسنة 169 هـ/785 م، إلى ترعرعها وتركز دعائمها في عهد خلفاء إدريس الأول . ويشير البكري إلى اسم النوفلي كاملا «أبو الحسن علي بن محمد ابن سليمان النوفلي »[40] كما يشير إليه في أثناء نقل الروايات عدة مرات ؛ ويروي النوفلي عن أبيه ، وعن غيره ، ويعتمد أحيانا شهود العيان في رواية أخباره ، منها قوله عن قاتل إدريس الأول ، سليمان بن حريز الجزري ، الذي أصيب بجراح على يد راشد مولى إدريس : «...فحدثني من رآه بعد قدومه العراق مكتعا ...»[41] ويشير النوفلي أيضا إلى شخص آخر بقوله : «أخبرني عيسى بن جنون قاضي أرشفول لإدريس بن عيسى ...»[42] ويبدو أنه كان يستقي أخباره عن المغرب من العلماء الذين كانوا يفدون إلى المشرق لغرض الحج ، أو التجارة ، أو القيام بالرحلات العلمية ، من أمثال القاضي عيسى بن جنون ، وغيره من العلماء الآخرين .

وقد اعتمد مؤرخون آخرون على روايات النوفلي المنقولة عن البكري في ذكر أحداث قيام دولة الأدارسة ، مثل ابن الأبار (ت 658 هـ/1260 م)،[43] والمؤلف المجهول **لكتاب الاستبصار**[44] ، وابن عذاري المراكشي ، (كان حيا سنة 712 هـ/1312 م)،[45] الذي يشير إلى كتاب باسم «**المجموع المفترق**» ينسب فيه هذه الأخبار إلى النوفلي ، والرقيق القيرواني (ت بعد سنة 417 هـ/1026 م). ويحتمل أنّ هذا الكتاب كان يضم مجموعة من المؤلفات الخاصة بالمغرب العربي ، جمعت في مجلد واحد ، وكانت معروفة في عهد ابن عذاري بهذا الاسم[46] . وقد اطلع

---

(40) البكري **المغرب** ، ص 118 .

(41) المصدر نفسه ، ص 121 .

(42) المصدر نفسه ، ص 122 .

(43) **الحلة السيراء** : 1/53-54 ؛ وأنظر : ليفي بروفنسال ، **الإسلام في المغرب والأندلس** ، ترجمة : السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، القاهرة ، 1956 ، ص 24 .

(44) مجهول المؤلف (من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) ، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار** ، دار آفاق عربية ، بغداد ــ دار النشر المغربية ، 1987 ، ص 194 196 ، سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا : **الاستبصار** .

(45) **ابن عذاري** ، **البيان** ؛ 1/83 .

(46) قارن : طه ، موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن شمال إفريقيا ، ص 254 .

البكري على رواية النوفلي في هذا الكتاب ، أو قرأها في كتابه المسمى **بالأخبار** ، والذي كان يضم ، كما أسلفنا ، روايات مشرقية تتناول تاريخ الأمويين والعباسيين .

ب ــ الوثائق والكتب المغربية :

1 ــ مؤلفات محمد بن يوسف الوراق :

تشكل مؤلفات هذا الجغرافي والمؤرخ، القيرواني المولد أحد الأصول الفريدة التي اعتمدها البكري في **مسالكه** ، ونخص بالذكر هنا ما دونه الوراق عن **مسالك إفريقية وممالكها** ، وتاريخ بعض مدنها القديمة . يرجع أصل الوراق إلى أسرة كانت تسكن في مدينة وادي الحجارة (Guadalajara) بالأندلس ، ثم نزحت إلى شمال إفريقيا ، حيث نشأ الوراق وترعرع ، لكنه بهر بالجو العلمي الذي كان يحيط بمدينة قرطبة أيام خلافة الحكم المستنصر (350-366 هـ/961-976 م) ، فرحل إلى الأندلس وبقي فيها حتى وفاته عام (363 هـ/973 م)[47] . ولكاتب هذه السطور بحث مفصل عن هذا المؤرخ ، وأهمية نصوصه التاريخية الخاصة بالمغرب[48] ، لهذا لن يتكرر هنا ما جاء في ذلك البحث ، بل سيُكْتَفَى بالإشارة إلى بعض المسائل التي لها علاقة باعتماد البكري على الوراق ، الذي يعد حجة في تاريخ إفريقية والمغرب .

تكتسب نقولات البكري عن الوراق أهميّة خاصة ، نظرا إلى فقدان كتب الأخير، التي ضاعت شأنها شأن الكثير من المؤلفات التي دونها معاصروه ، وبعض من سبقه من المؤرخين الذين اهتموا بتاريخ المغرب العربي . وقد اهتم البكري بشكل خاص

---

(47) أنظر عن الوراق : علي بن أحمد بن حزم (ت 456 هـ/1063 م) ، **رسالة في فضل الأندلس** ، نشرت ضمن مجموعة **رسائل ابن حزم الأندلسي** ، 3 ج ، تحقيق : إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1981 : 175/2 ؛ محمد بن أبي نصر الحميدي (ت 488 هـ/1095 م) ، **جذوة المقتبس** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة، 1966 ، ص 97؛ أحمد بن يحيى الضبي (ت 599 هـ/1202 م) ، **بغية الملتمس** ، نشر : فرانسسكو كوديرة ، مدريد ، 1884 ، ص 131 ؛ محمد بن عبد الله بن الأبّار (ت 657 هـ/1260 م) ، **التكملة لكتاب الصلة** ، 2 م ، نشر : عزت العطار، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1955-1956 : 366/1 ؛ كراتشكوفسكي ، ص 186 ؛ بالنثيا ، **تاريخ الفكر الأندلسي** ، ص 309 ؛ مؤنس ، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين** ، ص 73-76 .

(48) أنظر : عبد الواحد ذنون طه ، «نصوص مغربيّة من تاريخ محمد بن يوسف الوراق» ، **مجلة البحث العلمي** ، العدد 38 ، الرباط (1988) .

برواية الوراق عن مدن شمال إفريقيا ، وأورد عنها معلومات تاريخية قيمة نسبها إليه . ومن أهم المدن التي اعتمد فيها البكري على الوراق ، مدينة تيهرت ، ووهران ، وتنس ، وسجلماسة ، ونكور ، والبصرة (في المغرب العربي) ، لكنه لم يذكر اسم الوراق صراحة إلا عند حديثه عن مدينة تيهرت[49] . وفي الوقت نفسه أشار إلى مدن أخرى، وذكر معلومات تاريخية عنها نسبها إلى محمد بن يوسف الوراق مباشرة ، منها مدينة رقادة ، وطبنة ، وأشير[50] .

ويلاحظ في النصوص التي نقلها البكري عن الوراق، أنّها تتصف بدقة المعلومات والوضوح والتفصيل ، على العكس من نصوص ابن عذاري المنقولة أيضا عن الوراق . وينطبق هذا الكلام على روايته عن تأسيس مدينة نكور ، وأسرة صالح ابن منصور الحميري ، التي حكمت هذه المدينة ، ولعبت فيها دورا مهما منذ الفتح العربي الإسلامي للمنطقة[51] . كما تتضح أهميّة نقولات البكري أيضا بالنسبة إلى قبيلة برغواطة البربريّة وتاريخها في المغرب العربي ، حيث نجد في النّص معلومات طريفة عن «ديانة» هذه القبيلة ، وما ابتدعه لهم صالح بن طريف (ولد سنة 110 هـ/728 م)، الذي تنبأ فيهم ، من شعائر وطقوس خارجة عن الدين الإسلامي الحنيف . وقد احتفظ لنا البكري بهذا النص كاملا عن الوراق ، حيث دونه الأخير عن «أبي صالح زمور بن موسى بن هشام بن وارد يزن البرغواطي» الذي قدم رسولا من أمير برغواطة أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار (تولى سنة 341هـ/952 م) إلى الحكم المستنصر في قرطبة سنة 352 هـ/963 م . وهذا النص أشبه ما يكون بوثيقة عن تاريخ برغواطة ، كتب للحكم المستنصر لتحفظ في سجلاته[52] . ويبدو أن الحس العلمي المرهف للبكري دفعه إلى الاهتمام بهذه الرواية ، التي تقدم معلومات مفصلة عن هذه القبيلة وعلاقاتها الداخلية والخارجية ، وسياسة أمرائها ، فحفظ لنا حلقة متكاملة من حلقات تاريخ المغرب العربي ، كما دونها محمد بن يوسف الوراق . ولم يكتف البكري بذلك ، بل أضاف إلى هذه الرواية نصا آخر عظيم القيمة عن برغواطة وديانتها ، نقله عن أبي

---

(49) البكري **المغرب** ، ص 68 .
(50) المصدر نفسه ، ص 28، 52، 60 .
(51) المصدر نفسه ، ص 91 فما بعدها ؛ وقارن : ابن عذاري ، **البيان** : 1/176-180 .
(52) البكري **المغرب** ، ص 134-141 ؛ وأنظر : **الاستبصار** ، ص 197-200 ؛ وقارن : مؤنس ، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين** ،ص 146 .

العباس فضل بن مفضل بن عمر المذحجي ، ولم يرد هذا النص في أصل رواية الوراق ، مما يشير إلى اهتمام البكري ، وملكته التاريخيّة المتميزة[53]

2 ــ كتاب مغازي إفريقية لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم المتطبب القيرواني المعروف بابن الجزار (ت 329هـ/980 م):

اهتم ابن الجزار إلى جانب ممارسته للطب بالمسائل التاريخية ، وألف فيها كتبا مختلفه ،[54] لم تصلنا جميعا باستثناء نتف صغيرة احتفظ لنا بها البكري ، وبعض الكتّاب المتأخرين . ومن مؤلّفاته في التاريخ : كتاب **التعريف بصحيح التاريخ** ، وهو تاريخ مختصر يشتمل على وفيات علماء زمانه ، وبعض أخبارهم ، وقد اطلع ياقوت الحموي على هذا الكتاب الذي يحوي على أكثر من عشر مجلدات[55] . ولابن الجزار أيضا كتاب **أخبار الدولة، أو تاريخ الدولة** ، ويعني به الدولة الفاطمية ، حيث يذكر فيه ظهور المهدي بالمغرب وانتشار دعوته في شمال إفريقية ، وسقوط دولة الأغالبة ، وما حصل من أحداث في تلك الحقبة[56] . كما ألف أيضا كتاب **طبقات القضاة** ، الذي خصصه لتراجم العلماء الذين تداولوا على قضاء إفريقية إلى عصره ، ولم يرد لهذا الكتاب ذكر عند ابن أبي أصيبعة ، لكن القاضي عياض أشار إليه ، ونقل منه[57] .

---

(53) البكري **المغرب** ، ص 137–138 .

(54) أبو داود سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل (ت 399 هـ/1008 م) ، **طبقات الأطباء والحكماء** ، تحقيق : فؤاد سيد ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، 1955 ، ص 89 .

(55) شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626 هـ/1226 م) ، معجم الأدباء ، 20 م، ، دار المستشرق ، بيروت ، بدون تاريخ ، 136/2–137 .

(56) أنظر : أحمد بن القاسم بن خليفة المعروف بابن أبي أصيبعة (ت 668 هـ/1269 م) ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ، شرح وتحقيق : نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1965 ، ص 481–482 ؛ حسن حسني عبد الوهاب ، **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية** ، 3 ج،مكتبة المنار ، تونس ، 1965 : 318/1 .

(57) القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت 544 هـ/1149 م) ، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** ، 8 م ، تحقيق : عبد القادر الصحراوي وآخرون ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية ، الرباط ، 1968 : 102/3، 67/3 ؛ عبد الوهاب ، **ورقات** : 319/1 .

أما كتابه عن **مغازي إفريقية أو التعريف في أخبار إفريقية** ، فلم يذكره أحد من الكتّاب والمؤرخين ، باستثناء أبي عبيد البكري(58) ، وابن حيان القرطبي(59) . ويرى الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب(60) ، أن البكري نقل ما جاء في هذا الكتاب عن الرقيق القيرواني ، فيقول : « ولا شك أن البكري نقل عن إبراهيم الرقيق الذي استفاد من هذه المغازي ما أورد من أخبار الفتح في تاريخه الكبير لإفريقية» . وعلى الرغم من هذا الاحتمال ، ليس من المستبعد أيضا أن يكون البكري قد اطلع على كتاب ابن الجزار بنفسه ، دون أن يعتمد على الرقيق القيرواني ، لا سيما وأننا لا نجد ذكرا لاسم الرقيق ، أو كتابه بين ثنايا «**المسالك والممالك**» للبكري . يضاف إلى ذلك أن النصوص التي أوردها البكري ، تتميز بتناسق الرواية ووحدة الموضوع ، بينما نجدها مشوشة ومرتبكة عند الرقيق(61) ؛ الأمر الذي لا يشجع على ترجيح أخذها من قبل البكري عنه مباشرة .

ولدى دراسة بعض النصوص التي نقلها البكري عن ابن الجزار ، نجد أنها تتصف بالميل إلى الأساطير ، من ذلك مثلا النص الآتي الذي يشير إلى أصل مدينة قرطاجنة :

«قال أبو جعفر أحمد بن إبراهيم المتطبب القيرواني في مغازي إفريقية إن موسى ابن نصير لما دخل الأندلس فأتى على ما أراد منها قال لهم دلوني على أسن شيخ فيكم ، فأُتي بشيخ قد وقعت حاجباه عن عينيه من الكبر فقال له موسى من أين أنت يا شيخ ؟ قال من قرطاجنة إفريقية فقال له موسى فما الذي أصارك إلى هنا وكيف كان خبر قرطاجنة؟ قال له الشيخ إن قرطاجنة بناها قوم من بقية العدديّين الذين هلك قومهم بالريح

(58) **المغرب** ، ص 42 .

(59) أبو مروان حيان بن خلف بن حيان (ت 469 هـ/1079 م) ، **المقتبس في أخبار بلادالأندلس** ، تحقيق : عبد الرحمن علي الحجي ، دار الثقافة ، بيروت ، 1965 ، ص 36 . سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا : ابن حيان ، **المقتبس** .

(60) **ورقات** :1/319 ؛ وأنظر أيضا : سالم محمود عيسى الجبوري ، **الرقيق القيرواني كتابه في التاريخ ومنهجه** ، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة ، الجامعة المستنصرية ، معهد الدراسات القومية والاشتراكية ، بغداد ، 1988 ، ص 71 .

(61) أنظر : ابو إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني (ت بعد سنة 417 هـ/1026 م) **تاريخ إفريقية والمغرب** ، تحقيق : المنجي الكعبي ، نشر : رفيق السقطي ، تونس ، 1968 ، ص 81-83 . سيشار لهذا المصدر فيما بعد هكذا : **تاريخ إفريقية والمغرب** .

فبقيت بعدهم خرابا ألف سنة حتى بناها أردمين بن لاودين بن نمرود الجبار وجلب إليها الماء العذب...»[62] .

وعلى الرغم من هذه المسحة الأسطورية ، لا يمكن القول جزما بأن ابن الجزار «كان يعتني بجمع الأساطير»[63] لأنه قدّم رواياته استنادا إلى الأخبار التي كانت رائجة في عهده عن أصول بعض المدن القديمة ، لا سيما قرطاجنة . ولو تتبعنا رواية ابن الجزار لوجدنا أنّه يستمر في سرد تاريخ هذه المدينة ، ويبين الصراع الذي جرى بينها وبين مدينة رومة ، وهجوم (هانيبال ، حنبعل Hannibal) الذي يسميه «أنبيل» عليها، ودور القائد (شيبيون أو سيبيون Scipion) ويسميه «شبيون» ، في هذا الصراع . يقول ابن الجزار كما ينقل عنه البكري :

«... وكان سبب خراب قرطاجنة أن أنبيل ملك إفريقية وكانت قرطاجنة دار ملكه، مضى إلى بلد إيطالية الذي فيه مدينة رومية ولاقى قواد رومية ... فهزمهم أنبيل وقتلهم في عدة مواطن .... فأقام في بلاد إيطالية محاربا لمدينة رومية ومضيقا على نواحيها نحو من ست عشرة سنة فركب قائد من قوادهم يقال له شبيون المراكب خفية حتى أتى صقلية فحشر من اجتمع له بها ثم مضى إلى بلد إفريقية وترك أنبيل محاصرا لبلد رومية فنُصر على الإفريقيين وعم بلد إفريقية قتلا وسبيا وإحراقا وبقي محاصرا لقرطاجنة فبعث أهلها إلى أميرهم أنبيل يعلمونه بما دهمهم من أهل رومية...»[64] .

وهذه الرواية قريبة جدا ، بل مطابقة لما يذكره المؤرخون المحدثون عن هذا الصراع[65] ، ويبدو أن ابن الجزار قد اعتمد على أصول قديمة ، ربّما كانت لاتينية ، للتعرف على هذا الصراع ، وتدوينه على هذه الشاكلة ، واستفاد منه البكري بالتأكيد ، وضمنه في حديثه عن مدينة قرطاجنة وأوليتها . ومن جهة أخرى هناك دليل آخر ينفي أنّ كتاب **«مغازي إفريقية»** أو **«التعريف في أخبار إفريقية»** تضمن فقط روايات

---

(62) البكري ، **المغرب** ص 42 ، وأنظر كذلك ص 33 ؛ وقارن : **الاستبصار** ، ص 124-125 الذي نقل النص عن البكري مع بعض الاختلاف .

(63) قارن : **عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي** : 25/1 .

(64) البكري **المغرب** ، ص 42-43 .

(65) أنظر : جوليان ، المرجع السابق : 100/1-106 ؛ وأنظر : محمد البشير شنيتي ، **الاحتلال الروماني لبلاد المغرب** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985، ص 25-26 ، محمد الهادي الشريف ، **تاريخ تونس** ، تعريب : محمد الشاوش ومحمد عجينة ، لسراس للنشر ، تونس ، 1985 ، ص 21-22 .

أسطورية ، حيث ينقل عنه ابن حيان القرطبي نصوصا تاريخية عظيمة القيمة عن خروج جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي عن طاعة المعز لدين اللّه الفاطمي (341-365 هـ/953-975 م) ، ومحاربته لزيري بن مناد الصنهاجي (ت. 360 هـ/970 م) ، ومن ثم عبوره إلى الأندلس واتصاله بالخليفة الحكم المستنصر[66] .

كما ينقل ياقوت أيضا أخبارا تاريخية صرفة عن ابن الجزار ، من ذلك مثلا ، ما دونه في النص الآتي : «قال أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد بن الجزار في تاريخه : في سنة 208 ثار منصور بن نصر الطنبذي (ت 211 هـ/826 م) على زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب (201-223 هـ/817-838 م) في إقليم المحمدية في موقع يقال له طنبذة، وبه لقب الطنبذي ...»[68] . ويدل هذا النص والنصوص التاريخية الأخرى التي اقتبسها البكري وابن حيان ، على اهتمام ابن الجزار بالأحداث التاريخية التي مرت بالمغرب العربي منذ الفتح إلى الحقبة التي عاش فيها . وتكتسب الأخبار المعاصرة لحياته أهمية خاصة نظرا إلى معايشته للأحداث ، واعتماده على شهود عيان في ذكرها ، مما هيأ له مادة تاريخية عظيمة القيمة ، استفاد منها البكري ، وغيره من المؤرخين والكتاب المتأخرين .

3 ـ **كتاب تاريخ إفريقية وحروبها** لعبد الله بن يزيد بن عبد الرّحمان المعروف بابن أبي حسان اليحصبي : .

ينتمي ابن أبي حسان المتوفى سنة 227 هـ/841 م إلى بيت من أشراف إفريقية ، وكان يسكن في حارة يحصب بالقيروان ، لهذا سمي باليحصبي . عرف بفقهه وأدبه وعلمه بالتاريخ وأنساب العرب وأيامها ، وله رحلة إلى المشرق لقي فيها الإمام مالك

(66) ابن حيان ، **المقتبس** ، ص 36-38 .
(67) شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626 هـ/1226 م) ، **معجم البلدان** ، 5م ، دار صادر ، بيروت ، 1977 : 43/4 .
(68) آنظر عنه : محمد بن أحمد التميمي المعروف بأبي العرب (ت 333 هـ/944 م) ، **طبقات علماء إفريقية وتونس** ، تحقيق : علي الشابي ونعيم حسن اليافي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1968 ، ص 155-156 . سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا : أبو العرب؛ أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي (ت 474 هـ/1081 م) ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية ، 3 ج ، تحقيق : بشير البكوش ، ومحمد العروسي المطوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983 ، 284/1-289 ؛ عياض ، **ترتيب المدارك** : 310/3 **عز الدين علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير** (ت 630 هـ/1233 م) ،

ابن أنس (ت 179 هـ/795 م) ، وكتب **تاريخ إفريقية وحروبها**.[69] وينسب البكري نصا واحدا إلى ابن أبي حسان ، وهو يتعلق بفتح موسى بن نصير (ت 98 هـ/716 م) لمنطقة سقوما ، وكتابته إلى الوليد بن عبد الملك (86-96 هـ/705-715 م) بذلك[70] . وهذا النص موجود تقريبا كما هو عند الرقيق القيرواني[71] . والواقع أن الرقيق ينقل كثيرا عن ابن أبي حسان اليحصبي ، حيث تتصف بعض روايات الأخير بالأصالة ، لأنه عاصر أحداثها ، أو أن أباه حدثه عنها نقلا عن شهود عيان[72] . فهل أخذ البكري ما أخذه عن ابن أبي حسان اليحصبي مباشرة ، أم نقلا عن الرقيق القيرواني ؟ الواقع لا يمكن الإجابة القاطعة عن هذا السؤال ، فقد يكون البكري أخذ ذلك عن الرقيق ، أو أنه اطلع فعلا على كتاب **تاريخ إفريقية وحروبها** لليحصبي ، لا سيما وأنه لا يشير إلى اسم الرقيق ، في حين سمّى معظم من أخذ عنهم رواياته التاريخية ، أو الجغرافية .

4 — **كتاب فتوح إفريقية** لعيسى بن محمد بن سليمان بن أبي المهاجر :

يشير البكري إلى أخذه عن مؤرخ يسميه بأبي المهاجر ، وبطبيعة الحال لا يمكن أن يكون أبو المهاجر هذا هو «أبو المهاجر دينار» والي إفريقية الذي تولى سنة 55-62 هـ/674-681 م ، لأن البكري ينسب إليه رواية أحداث وقعت بعد وفاته . فمن المتفق عليه أنّ أبا المهاجر دينارًا استشهد مع عقبة بن نافع الفهري في معركة تهودة ، في أثناء رجوعهما من حملة على المغرب الأقصى سنة 63 هـ/682-683 م ، أو أواخر سنة 64 هـ/684 م . لهذا فإن البكري يقصد بالتأكيد عيسى بن محمد بن سليمان ابن أبي المهاجر ، حفيد أبي المهاجر دينار ، الذي عرف عنه أنه ألف كتابا في **فتوح إفريقية** ،وهو يعد من المصادر الأساسية في تاريخ المغرب العربي . وعيسى هذا هو أحد تلاميذ أبي خارجة الغافقي (ت 210 هـ/825 م) ، وعبد الله بن وهب (ت 197

= **الكامل في التاريخ** ، 13 م ، دار صادر ، بيروت ، 1979 : 530/6 ؛ ابن عذاري ، **البيان** : 108/1 .

(69) البكري **المغرب** ، ص 117-118 .

(70) **تاريخ إفريقية والمغرب** ، ص 77 .

(71) المصدر نفسه ، ص 107، 121، 141 .

(72) أنظر : أبو العرب ، ص 206 .

هـ/812 م) .[73]ويعد الأول من علماء إفريقية الأجلاء في الحديث ، أما الثاني ، فهو من المحدثين المصريين ، وهو مؤسس أول مدرسة تاريخية مصرية[74].

ولا يقتصر اعتماد عيسى بن أبي المهاجر على رواة من إفريقية ومصر فحسب، بل يعتمد رواة آخرين من أمثال محمد بن عمر الواقدي (ت 207 هـ/823 م) ، وابن مهدي بن يزيد القيسي ، وزريق بن هلال الخشني ، وعمر بن سمك بن حميد مولى موسى بن نصير ، وشهر بن حوشب ، وغيرهم من أشياخ عرب إفريقية[75]. ويبدو ن عيسى بن أبي المهاجر قد اطلع أيضا على أصول مدونة ، مثل كتاب أبي بكر عتيق السوسي ، وهو من أهل القيروان ، حيث أخذ منه رواية عن خروج عبد الله بن سعد ابن أبي سرح إلى إفريقية[76]. ومن المؤسف أنه لا يشير إلى اسم الكتاب ، ولا يذكر طبيعة محتوياته ، ولكنه،كما يبدو من الخبر الذي أخذه عنه ، كان يهتم بفتوح العرب لإفريقية .

اعتمد البكري مباشرة على ما دونه عيسى بن أبي المهاجر في كتابه **فتوح إفريقية** ، الذي كان يضم دون شك روايات عن الفتح العربي الإسلامي للمغرب ، إضافة إلى معلومات أخرى عن فتح الأندلس ، نقلها عنه المؤرخ ابن عذاري المراكشي[77]. وقد ركز البكري على نصين ، الأول يتعلق بعقبة بن نافع الفهري ، ومعركته الأخيرة في تهودة ، حيث استشهد ، هو وجماعة من صحبه على يد تكتل كبير من السكان المحليين وأنصارهم من البيزنطيين[78]. أما النص الثاني فيتعلق بأعمال حسان بن النّعمان الغساني العسكرية والإدارية ، التي نفذها أثناء ولايته على إفريقية (74-85 هـ/694-704 م) . وهو نص عظيم القيمة ، لأنه يعد من أقدم النصوص التي وصلتنا ، وفضلا عن قدمه ، فإن قيمته وأهميته تتركز أيضا في تقديمه معلومات مفصلة عن تحرير منطقتي قرطاج وتونس ، وموقف الخلافة الإيجابي من دعم حسان بن النعمان ، في

---

(73) عبد الحميد ، **تاريخ المغرب العربي** ، 23/1 .
(74) أبو العرب ، ص 65، 68، 71، 179، البكري **المغرب** ، ص 73 .
(75) المصدر نفسه ، ص 78 ؛ وأنظر : عبد الواحد ذنون طه ، «موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الطوائف» ، **مجلة المجمع العلمي العراقي** ، ج 4 ، م 37 ، بغداد ، (1986) ، ص 368-369 .
(76) ابن عذاري ، **البيان** : 6/2-7 .
(77) البكري **المغرب** ، ص 73-74 .
(78) المصدر نفسه ، ص 37-39 .

سبيل حماية المكتسبات العربية في المنطقة ، وذلك بإرسال ألف أسرة قبطية للعمل في دار صناعة السفن الحديثة التي أنشئت في تونس . كذلك يقدم النص تفصيلات قيمة عن بناء السفن ، وإنشاء هذه الدار في تونس ، وهي التّي أصبحت قاعدة عربيّة إسلاميّة للأسطول العربي الناشيء في شمال إفريقيا.

وقد أشار مؤرخ آخر إلى هذه المعلومات ، وهو الرقيق القيرواني ، لكن روايته مختصرة وفيها خلط بين اسم الخليفة عبد الملك بن مروان (65–86 هـ/685–705 م) ، والوليد بن عبد الملك[79]، وتشير الرواية أيضا إلى أن عم الوليد بن عبد الملك ، أي عبد العزيز بن مروان ، هو الذي أرسل الأسر القبطية في خلافة الوليد ، وهذا مخالف للواقع ، لأن عبد العزيز بن مرواون توفي في حياة أخيه عبد الملك سنة 86 هـ/705 م . ويشير اختيار البكري للنص الصحيح في هذا المجال إلى طريقته في الاستفادة من الموارد التي يعتمدها ، وتحريه لصدقها ، ودقتها ، لتوظيفها في دعم المادة الجغرافية التي يقدمها في كتابه **المسالك والممالك** .

(79) **تاريخ إفريقية والمغرب** ، ص 65–66 .

بين الشعراء والنّحاة

قال أحد الشّعراء يخاطب نحويًا: [مجزوء الرّجز]

قُـــلْ مَـــا الّـــذي يَهمّنـــي   إنْ قَـــامَ زَيـــدٌ أوْ قعـــد
أو إنْ ذَهـــبت مَاشيـــا   أو رَاكِبـــا نحـــو البَلـــد
أو كـــان زيـــدُ مُبتـــدا   أو فاعِـــلا سدّ الـــمَسَدْ
فـــي النّحـــوِ لا تقهرُنـــي   إلّا تفاصيـــلُ العـــدد
وأفعـــلُ التفضيـــل كـــم   قـــد شذَّ فيـــه وشرد
وغيـــرُ هـــذا عُقـــد   تَبّـــا لهاتـــيك العُقـــد
تـــرَى بهـــا قواعـــدًا   بـــدون مَعنـــى أوزبـــد
مَختومـــةً جميعهـــا   بـــ«قِسْ عَلَيْـــه مـــا ورد»